

صفعات للقصر فى معركة نادى الضباط

- حيدر و المراغى يتدخلان باسم القصر.
- ثورة الضباط.
- رشاد مهنا يتهرب من الأحرار.
- مصرع ضابط.
- المراغى بعد حيدر.
- قرارات وانتصارات.

مثلما كان حادث 26 يناير مفاجأة كبيرة لنا، فقد كان أيضا حافزا على ضرورة تحديد موعد الحركة بصورة نهائية، لان وقوع هذا الحادث كان إيذانا ببء عهدء من النكبات والكوارث، والإرهاب الملكي فى البلاد. وكان لابد بالطبع أن يوضع حد لهذا الجو الذى وجدت مصر فيه، وكنا قد رتبنا أنفسنا على أن نضع هذا الحد. ومهما كانت عواقب المخاطرة.

ومع ذلك ، فلم نكن عند وقوع حادث 26 يناير، نجهل حقيقة قوتنا.. فقد كنا كما أسلفت قد أختيرانا قوتنا جيدا عن طريق عملية الحصر الكاملة التى قام بها جمال وعبد الحكيم كما أننا كنا قد درسنا" تقدير الموقف" الذى قام به عبد الحكيم دراسة أقتنعتنا أننا قادرون على العمل..

ولكن هذا لم يكن كل ما بين أيدينا.. فقد كنا قد خضنا تجربة ونجحنا فى أجزائها الأولى نجاحا أقتنعتنا تماما بأننا نستطيع أن نقود الجيش قيادة كاملة يوم نحدد القيام بالحركة.. كما أن انتصارنا فى هذه التجربة، كان فى حد ذاته انتصارا للفكرة الشعبية بين الضباط، فكان انتصارا من النوع الذى يشحذ الهمة ويغري بمواصلة العمل..

كان كل ضابط يشعر أنه عمل عملا، ونجح فيه وفرض رأيه فرضا كاملا،، وكان هذا وحده كفيلا بإذكاء النخوة، وإشعال الحماس.

ولم تكن التجربة التى خضناها معركة بسيطة.. بل كانت أضخم معركة واضحة مكشوفة بيننا وبين القصر.. كانت المعركة المعروفة بمعركة نادي الضباط.

ففى ديسمبر من كل عام، كان الضباط يجتمعون فى جمعية عمومية بناديهم، لانتخاب رئيس النادي وأعضاء مجلس إدارته.

وكانت جماعتنا فى ذلك الوقت قد فرغت تماما من اختيار القائد الذى يقود الثورة أمام الشعب، يوم تقوم المعركة.. وكان هذا القائد، كما قلت فى صفحة سابقة، هو اللواء أركان حرب محمد نجيب..

وعلى الرغم من أننا احتفظنا بهذا الاختيار سرا بيننا، فلم يعلن حتى الرجل نفسه.. فقد كان لا بد مع اقتراب الزمن والموعود المبدئى الذى حددناه للحركة من أن نخطر اللواء نجيب بهذا الاختيار، وأن نسمع منه الموافقة على مشاركتنا هذا العمل الجريء.. كما كان لا بد لنا أيضا أن نركز عليه الأضواء فى مناسبات مختلفة.. لكى تأتى قيادته لحركة الضباط أمرا عاديا طبيعيا منطقيا فى أعين الجميع..

ورأى جمال أن معركة انتخابات نادي الضباط هى أول فرصة يمكن أن تلقى بها أضواء كبيرة على شخص القائد.. وقررنا تبعا لذلك أخطاره بكل ما انتوينا القيام به، وإشراكه فى عملياتنا الأولى إشراكا كاملا..

واخطرنا اللواء "نجيب" بما اعتزمناه.. ثم أبلغناه أننا سنرتب الأمر على ترشيحه رئيسا لنادى الضباط وعلى ترشيح فئة معينة من رجالنا لعضوية مجلس إدارة النادي..

لطة للقصر

وكان هذا العمل يحوى فى طياته أمرين:

الأمر الأول أننا أردنا أن نوجه لطة واضحة قاسية للقصر. إذ كان القصر مصرا على أن يكون رئيس النادي هو اللواء حسين سرى عامر قائد سلاح الحدود.. ولما كان حسين سرى عامر، هو

الرجل الذى حل محل اللواء نجيب عندما رؤى إقصاؤه عن سلاح الحدود إلى سلاح المشاة، فقد كان ترشيحنا لنجيب، هو فى حد ذاته وبغض النظر عن كل نتائجه يعتبر تحديا صريحا لإدارة الملك..

واختيار لقوتنا

أما الأمر الثانى، فهو أننا أردنا أن نقود معركة انتخابات النادي قيادة كاملة، لنعرف بالضبط مدى الحماس الذى تقابل به حركتنا، ومدى قوتنا بين الضباط. لا على أساس الحصر النظرى... ولكن على أساس التجربة العملية الواضحة..

س فالمعركة ستقوم بيننا وبين الملك.. ونحن نعرف ضباطنا.. ولكننا أيضا يجب أن نطمئن إلى مدى حماسهم واندفاعهم فى تأييدها عندما يصبح هذا التأييد خطرا صريحا يتهدد الضباط... وعندما تكون المعركة مكشوفة بين كل ضابط.. وبين القسر..

فالمعركة إذن — معركة النادي — ليست معركة مقصورة لذاتها، ولكنها معركة لها أهداف خفية أولها هدف ظاهر وهدف خفى.. فأما الظاهر فهو زلزلة الهيبة الملكية فى البلاد بأن يخوض الضباط معركة سافرة ضد الملك.. وأما الهدف الخفى أو الأهداف الخفية، فأهمها معرفة حقيقة قوتنا وتسليط أقوى مجموعة من الأضواء على شخص اللواء نجيب.. الرجل الذى تقرر أن يقود حركة الأحرار..

القصر يتدخل

ويبدو أن إدارة الجيش ومخابرات القصر قد شمت إذ ذاك رائحة معينة، تفيد أن الضباط ينكتلون لإسقاط مرشح القصر فى انتخابات النادي..

وكان لا بد بالطبع أن يشيع هذا الأمر.. فانتخابات النادي مسألة علنية تستعمل فيها الدعايات، ويخوض حديثها الضباط.. ولا يمكن قصر عمليتها على الضباط الأحرار المنظمين فى التشكيل دون غيرهم.. ولكننا لم نكن نتوقع أن تكون استجابة القصر لنا أشيع سريعة وحاسمة بالصورة التى ظهرت بها..

فقد فوجئنا فى يوم من أيام شهر ديسمبر.. بقرار أصدرته رئاسة الجيش بإلغاء انتخابات النادي وتأجيل موعدها إلى أجل غير مسمى...

بدء المقاومة

وكان هذا القرار هو بدء التجربة...

كان رشاد مهنا إذ ذاك عضوا فى مجلس إدارة النادي القديم. وكان جمال عبد الناصر رغم ما يعرفه عن رشاد مهنا قبل ذلك، شديد الأمل فى أن يستطيع إدماج رشاد مهنا فى معركة النادي بصورة واضحة..

فالتقى جمال برشاد.. ووجد منه حمسا لمقاومة هذا القرار، الذى يعتبر لطمة موجهة إلى الضباط جميعاً..

وكان لابد إذن من مقاومة.. ومن إجراء خطير..

وجعلنا جمال.. وقال أن الضباط الأحرار لا يستطيعون صبرا بعد هذا.. وأن أي تلوؤ فى اتخاذ عمل إيجابي سريع ضد رغبات القصر قد يؤدي إلى انتكاس حماسة الأحرار.. ولابد لذلك من عقد الجمعية العمومية للضباط فى موعدها.. لابد من أن يتم ذلك رغم أنف إدارة الجيش.. ولتكن فرصة تعرف فيها على وجه التحقيق.. مدي ما لنا من قوة ومن تأثير..

وكان البعض فى ذلك الوقت بعيدا عن القاهرة.. فقد كان عبد الحكيم مثلا فى العريش..

وإذا بالمجموعة كلها تتلقى أوامر جمال عبد الناصر، بأعداد مناطقها فورا.. والحضور إلى القاهرة.. فى إجازات..

وتم ذلك.. واكتملت المجموعة الرئيسية للأحرار.. أو ما عرف بعد ذلك بمجلس القيادة... فى القاهرة.. وبدأنا نعمل.. بقيادة جمال عبد الناصر..

وفى الموعد المحدد لاجتماع الجمعية العمومية، تم الاجتماع. وقرر الضباط وجوب تحديد موعد سريع لأجراء الانتخابات.. ثم انفضوا للاستعداد للمعركة..

كانت هذه أولى انتصاراتنا.. فقد كسبنا جولة كبيرة بعقد هذا الاجتماع في موعده رغم أنف رياسة الجيش.. هي جولة معركة الثقة..

وبانتصارنا في هذه الجولة شعر القصر بأنه أمام قوة ليس من السهل عليه أن يتلاعب بها وقرر رجاله أن خسارتهم للجولة الأولى يمكن أن تنقلب انتصارا في الجولة الثانية.. والجولة الثانية هي إجراء الانتخابات فعلا,, ونتيجة هذه الانتخابات تحدد المنتصر وتحدد المهزوم.

ويبدو أن القصر كان على يقين من انتصاره.. وأنه في الوقت نفسه لم يكن قد اعد نفسه لتحدى شعور الضباط جميعا بالوقوف في سبيل إجراء الانتخابات.. وعلى أى حال، فقد حددت رياسة الجيش موعد الانتخابات بعد شهرين.. وبدأت بذلك المعركة الانتخابية..

مصرع ضابط

وفي خلال هذين الشهرين، وقع حادث 26 يناير المشؤم، وحادث اغتيال المرحوم عبد القادر طه المعروف..

وأن كان حادث حريق القاهرة قد جاء مفاجأة مذهلة لنا بحيث لم نستطع أن نصنع حياله شيئا.. فقد استطعنا إيذاء الملك إيذاء بالغا في حادث اغتيال المرحوم عبد القادر طه..

فلم يكد هذا الضابط يغتال، حتى أصدرت الرقابة أمرها بعدم نضر نبأ مصرعه في الصحف.. ومعني هذا الا تشعر البلد بجريمة كهذه تقع جهارا نهارا.. وبأيدي رجال السراي...

ولكن جمال لم يعبأ بمنع النشر، وأما أصدر أمره إلى ضباط جميع الأسلحة بنعية نعيها رسميا باسم أسلحتهم.. وصدر النعي.

وانتصاراتنا

واجتمع الضباط في الموعد المحدد لأجراء الانتخابات..

فكان أول ما صنعوه، هو اقتراح وقف الاجتماع خمس دقائق حدادا على مصرع الشهيد عبد القادر طه..

وكان هذا هو أول مظهر للتحدي في داخل الاجتماع..

وجاءت الخطوة الثانية.. خطوة رفض تمثيل سلاح الحدود.. إذا بالأمر لا يكاد يعرض حتى يرفض.. وبالإجماع!

ثم جاءت الخطوة الثالثة.. وكانت نتائجها قد بدأت تكون مؤكدة بعد نجاحنا في الخطوتين

الأوليين..

صورة

الانتخابات.. ونتيجة الانتخابات..

أجمع وشاه إجماع على انتخابا محمد نجيب رئيسا للنادي وأغلبية ساحقة لمن يسملمهن القائمة التي قد رشحناها .

ثم ما يوسف بأنه "ضربة معلم" إذ أننا رشحنا في هذا الاجتماع الفريق حيدر باشا.. رئيس شرف للنادي فوافق الضباط بالإجماع...

وكان لهذا المرشح مغزاه وكان له معنوية أيضا.. فقد حططنا به جبهة القصر تحطيمًا كاملاً.. إذ أن اللواء حسين سرى عامر ظن أن إقصاء سلاح الحدود قد تم بالاتفاق مع الفريق محمد حيدر.. أو بالتآمر معه كما قال، فذهب من فوره إلى الملك يشكون له من حيدر ويتهمه بأنه تآمر مع الضباط ضده وضد سلاح الحدود..

وفي الواقع أن اتخاذ القرار الإجماعي بعدم تمثيل سلاح الحدود قد أزعج القصر وازعج حسين سرى عامر بصورة لا مثيل لها، فقد اعتبر حسين سرى عامر هذا الموقف صفة عننية وجهت إليه من ضباط الجيش .

مماولات

وظننا نحن أن المعركة يمكن أن تنتهي هكذا.. وأن هذه الهزائم المتتالية للقصر ورجاله كفيلة بأن ترد لهم عقولهم، وأن تحول بينهم وبين ارتكاب حماقات أخرى تضيف إلى هزائمهم هزائم جديدة.

ولكن ما قدرناه لم يكن هو الصواب..

فقد ركب القصر رأسه، وأخذته العزة بالآثم، وأصدر أمره صريحا قاطعا إلى الفريق محمد حيدر بأن يتخذ أى إجراء يلزم لكى يظفر سلاح الحدود بمقعد فى مجلس إدارة النادي.. وأن عليه فى حالة فشله فى ذلك، أن يقوم بحل مجلس الإدارة المنتخب فورا..

صدرت هذه الأوامر لحيدر.. فأرسل فى طلب القائمقام رشاد مهنا، ثم أرسل فى طلب اللواء محمد نجيب رئيس النادي.. وفى صراحة ووضوح بسط لهما الموقف كاملا، وطلب منهما أن يعملوا أى شئ لقبول عضو فى المجلس يمثل سلاح الحدود.. واقترح رشاد مهنا حلا للأشكال قبول عضو مستمع فى المجلس ورفض محمد نجيب هذا الطلب، وقال أن هذا الأمر من حق لجمعية العمومية وحدها، وأنه لا يستطيع البت فيه.

وعاود الفريق محمد حيدر محاولته مع اللواء نجيب، وأفهمه أن قرار حل مجلس الإدارة معد فعلا.. وأن عليه أن يرى حلا للمسألة، وأن هذا الحل الذى اقترحه رشاد مهنا يمكن أن يضع حدا لهذه الأزمة..

وقبل نجيب قبول عضو مستمع، مشترطا لذلك شرطي...

● موافقة مجلس إدارة النادي على ذلك..

● أن يكون هذا العضو مؤقتا إلى أن تجتمع الجمعية العمومية للنادي، وتقر الأمر أو تلغيه..

ثورة الضباط

وكان انعقاد الجمعية العمومية للنادي، فى هذه المرة صفحة ثانية أليمة للقصر ولرجل القصر حسين سرى عامر.

ففى هذا الاجتماع خرج الضباط عن كل حد.. هاجموا القصر هجوما علنيا عنيفا، وقالوا أن النادي هو نادي الضباط وهدفهم، وأنهم لن يسمحوا لقوة كائنة ما كانت أن تتدخل فى شئونه على أن أى وجه من الوجوه..

وفى فوره الحماس المتأجج والثورة العارمة.. أخذت الأصوات.. وإذا بالجمعية العمومية تقرر بالإجماع رفض قبول حسين سرى عامر كممثل لسلاح الحدود بالجيش.. وخروجه فورا.. وتوجيه اللوم الشديد لمجلس الإدارة على قبول عضو مستمع بدون أخذ رأى الجمعية العمومية لأعضاء النادي..

ولم يكن أحد يتصور أن يقف الضباط هذا الموقف العنيف الثائر..

كنا نعلم أنهم سيعارضون، وأنهم سيرفضون قبول ممثل سلاح الحدود ولكننا لم نكن نتصور هذه الثورة، وهذا الكلام الجارح العلني الموجه للقصر، وهذا العنف والتشديد الذى يصل إلى حد توجيه الموم لمجلس غدارة النادي الذى أولوه ثقته الكاملة..

رشاد يهرب

ويبدو أن رشاد مهنا بعد ذلك أحسن أن الموضوع قد دخل فى دور جديد، هو دور التحدى العلني بالفعل والقول معا.. وكان رشاد — فى الوقت نفسه — قليل الثقة فى نجاح الثورة.. لأنه لم يكن يعلم حتى ذلك الوقت بما اتخذناه فعلا من الخطوات.. ويبدو أن هذه الزعزعة فى ثقته بإمكان وقوع ثورة..ز قد دفعته إلى النأى بنفسه عن مواضع الشبهات.. فقد فوجئنا ذات صباح بقرار صادر من مدير سلاح المدفعية بنقل القائمقام رشاد مهنا إلى العريش..

وكنا نعتقد أن رشاد لابد أن يبقى فى القاهرة، وأنه سيكلف بدور معين فى حركة الأحرار.

وكان جمال فى ذلك الوقت قد بدأ يضع خطته النهائية.. فلما علم بهذا القرار.. تملكه الضيق، وصمم على إلغاء هذا النقل.. واستعدى إليه صلاح سالك، وكان فى رفح، وطلب منه أن يذهب إلى حيدر ويحاول معه بأية وسيلة إلغاء هذا النقل، موهما إياه أن هذا النقل لابد أن == بين الضباط كأنه بدء حركات انتقامية من أعضاء مجلس إدارة النادي ذهب صلاح، وكلم حيدر فى

الأمر.. واتصل حيدر أمام صلاح وسلاح المدفعية يسأله: "لماذا نقلت رشاد إلى العريش" وكيف لم
== بذلك!

إذا بالحقيقة المولمة تبدو سافرة في لحظة واحدة.. فقد أجاب مدير == المدفعية فوراً بان
رشاد مهنا شخصياً هو الذى طلب هذا النقل.. يستأذن مدير السلاح الفريق محمد حيدر فى القوم
إليه فوراً واطلاعه على الطلب المقدم من رشاد مهنا بنقله..

لكن صلاح لم يكن يستطيع أن يصدق ما يسمع، فأصر على أن يرى ما.. وفى دقائق،
جاء مدير السلاح، ومعه طلب مقدم من رشاد مهنا== إلى العريش!!

وكان هذا الموقف من رشاد مهنا سبباً فى اتخاذ جمال عبد الناصر قراراً بما، باستبعاد
رشاد مهنا نهائياً من أى عمل إيجابى يقوم به الأحرار..

المراغى بعد حيدر

على أن القصر لم يكن قد يئس بعد.. فلم بكد حيدر يفضل معنا مسائل التهديد والإقناع،
حتى عاود القصر الاتصال بنجيب عن طريق == المراغى وزير الحربية فى ذلك الوقت..

واستدعى المراغى نجيباً، وطلب منه أن يحل هذا الأشكال.. وألا يخرج عنده الا وقد
وعده بأن يقنع الضباط بمسألة قبول حسين سرى عامر مجلس إدارة النادي..

وكنا على علم بما كلف به للمراغى.. أنى لا أستطيع شيئاً.. وان كنتم تريدون منى
استقبل.. فلا مانع لدى!!

وكانت هذه هى أخر الجولات الخاصة بقبول حسين سرى عامر عضواً خلق إدارة
النادى.. ولكنها لم تكن بأخر المعارك ولا آخر القصص..

فقد تلا هذا الموقف عدد من القصص المسلية التى كانت تظهر لنا اتجاهات القصر
ورجاله ومدى التخبط الذى أوقعوا فيه أنفسهم..

ولعل من أطف القصص التى وقعت فى ذلك الوقت قصة شاركتنا فيها المطربة
المعروفة.. شهرزاد..

ولابد من شئ من الترويج عنك أيها القارئ على كل حال...

كان سلاح المشاة قد دعا إلى أقامه حفلة ترفيه لجنوده.. وكان كما هو معروف هو مدير سلاح المشاة في تلك الفترة..

ودعا نجيب إلى الحفل كلا من الفريق محمد حيدر، و" معالي" مرتضى المراغي "باشا".

وَأذ كانت المنافسات إذ ذاك قد بلغت أشدها بين المراغي وبين حيدر.. فقد غضب حيدة لدعوة المراغي وقرر الا يحضر الحفل..

وكانت مطربة الحفل هي المطربة شهرزاد..

وكان مقررا أن تذاع الحفلة.. وكانت محطة الإذاعة قد أرسلت أَلانها فعلا إلى مكانها.

وفجأة صدرت الأوامر من حيدر إلى محطة الإذاعة.. ووقع التفاهم بين حيدر وبين كريم ثابت.. بعدم إذاعة الحفل..

وبينما تتأهب شهرزاد للغناء على المسرح.. وجدن مذيع الإذاعة ومهندسيها يفكان الميكرفون.. ويرفعانه.. ويعودان به..

وسألت شهرزاد: ما الخبر!؟

قيل لها: تقرير الا تذاع الحفلة

ولم تكن شهرزاد بالطبع تستطيع أن تظن إلى أن هناك حركة في الجيش تغضب القصر، وأن هذا الأجراء مقصود به مسائل سياسية من أي نوع كان وأما كانت تفهم فقط أن الإذاعة قد استكثرت عليها أن تغنى من مكان عام.. وفي حفلة من حفلات الجيش على الخصوص..

بل لقد ذهبت بها الظنون ألف مذهب، وتصورت أن لبعض المطربات دخلا في منع إذاعتها، ، وأن لبعض موظفي الإذاعة دخلا أيضا في هذا المنع..

وبالطبع لم يكن هناك شئ من كل هذا.. ولكن أيضا لم يكن هناك يستطيع إقناع شهرزاد بأن تغنى أبدأ.. فقد صممت على عدم الغناء، أنها مطربة لها كرامتها، ولها صوتها، وليست أقل من أحد.. وأما أن تمنع الإذاعة حفلتها.. أو لن تغنى أبدأ...

أما نحن، فكنا جد حرصين على نجاح الحفل، رغم هذه الفعلة التي عملها حيدر..

وكان لا بد من المصارحة.. مصارحة شهرزاد بكل شئ.. وسار أليها سبب.. وقال لها أن ما حدث لا صلة له بك ولا بغيرك من المطربات.. أنه لجنة مؤامرة تدبر لنا.. وأن الذين يدبرونها هم الكبار جداً.. وأنتك تغنين اليوم أنما تغنين لاربعة آلاف ضابط وجندي، كلهم يسعدهم أن تفشل هذه المؤامرة..

ويا للمصرية الشجاعة المعاندة..

لم تكذ شهرزاد تشعر أن هناك نوعا من التحدى للكبار جدا.. كما قال نجيب.. حتى أخذت الأمر مأخذاً جديداً.. فقررت أن تغنى لا كما == مفروضا فحسب.. ولكن إلى الصباح...